هل يستقبل الأردن خالد مشعل بمطار عمان بعد توديعه «مخفورا»؟ حماس ما زالت ترفض الإعتراف بفك الإرتباط وزيارة الملك لواشنطن ستحدد العلاقة معها

مأدبة ملكية لتطييب خواطر قبيلة الزرقاوي.. وقرارات إستراتيجية قريبا لدفع ملف «الوحدة الوطنية» للواجهة

الروابدة خرج من الحكم بسبب «الإخراج السيء» لابعاد حماس وأبو الراغب والفايز وبدران رفضوا كل المبادرات.. وفلسطينيو المملكة يؤيدون الأخوان وحماس

عمان ـ «القدس العربي»

من بسام البدارين:

يغادر العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني اليوم الثلاثاء إلى الولايات المتحدة في زيارة سياسية هامة بعد ان أغلق قبل يومين فقط واحداً من الملفات العالقة والمسكوت عنها إعلاميا عندما إستقبل قادة وزعماء قبيلة بني حسن التي تعتبر من أهم القبائل الوطنية وأكثرها مساندة للنظام الهاشمي منذ تأسست الإمارة عام 1921.

وخلال الإستقبال تحدث الملك عن الكثير من التحديات التي تشغل ذهنه وتتطلب وحدة وطنية وتطرق للعديد من الموضوعات السياسية الإقليمية لكن ما لم تقله البيانات الرسمية عن هذا اللقاء هو ان الهدف المركزي منه حسم الجدل الدائر في الكواليس حول طبيعة العلاقة بين أبو مصعب الزرقاوي وبين قبيلته التي إستقبل الملك بعض رموزها ومشايخها وأعيانها بدفء متبادل.

وقبيلة بني حسن تعرضت مؤخرا للكثير من التقييمات والقراءات السلبية وبعض زعاماتها تشعر منذ وقعت حوادث تفجير الفنادق بأن بعض المسؤولين في مستويات التنفيذ يحاولون الضغط أكثر مما ينبغي على أبناء القبيلة الذين شوهدت صورتهم أحيانا قصدا بعد بعض الإجراءات الأمنية التي إتخذت في واجهتهم ومناطقهم بإعتبارها من أكبر القبائل في الوطن الأردني وأكثرها نفوذا.

وساهم في اللعب على هذه الصورة الإعلام الإسرائيلي نفسه فدوري غولد المستشار الشهير لأرييل شارون كتب مقالا تحدث فيه عن تغلغل تنظيم القاعدة في أوساط بعض القبائل الأردنية فيما عزفت التقارير الإسرائيلية على نفس الوتر عدة مرات.

تطييب خواطر

وخطوة الملك بالتالي تنطوي على «تطييب للخواطر» وتعزز الإنطباع بان صاحب القرار الأول لا يقرأ تلك «التصنيفات» التي تحاول «تخويف» المؤسسة من تعاطف مفترض بين أهم قبيلة حليفة وبين ابو مصعب الزرقاوي سواء كانت تصنيفات مبالغ بها إعلاميا او مررت في النطاق الرسمي في أوقات سابقة.

وليس سرا في عمان بان ابو مصعب الزرقاوي الذي يخاطب احيانا أبناء قبيلته مباشرة يلقى تعاطفا وتفهما واحيانا تأييدا من بعض الأوساط في المجتمع الأردني، وليس سرا ان بعض القراءات تسببت بالظلم لقبيلة بني حسن او حاولت «دق إسفين» بينها وبين النظام مما تطلب إصدار بيانات في الصحف تندد بالزرقاوي وتدين أفعاله بعد ان تعرضت مناطق القبيلة لضغط إعلامي فضائي دولي خلق أجواء لم تكن مريحة.

ومن الواضح ان الملك الأردني قرر بان لقاءه بأبناء بني حسن وتناول الغداء معهم أولوية مهمة قبيل رحلته التالية للولايات المتحدة وقبل لقاء مفترض سيجري مع الرئيس محمود عباس عابرا بالتالي واحدة من الأزمات الصامته بين المؤسسة وبين قبيلة مهمة ومتنفذة ولا يمكن تجاهلها للكثير من الأسباب.

وبالتالي تساهم خطوة الملك في إغلاق هذا الملف وفي التأكيد للقبيلة بان النظام لا يحسبها على الزرقاوي إنما عليه وعلى الأردن، لكن هذه الخطوة تثبت مرة أخرى بان القصر الملكي يتدخل مباشرة لتطييب الخواطر ولتعزيز اللحمة الأجتماعية ولإصلاح ما تفسده النخب السياسية في مستويات القرار خصوصا تلك النخب التي إحترفت التحريض او دعت «لمعاقبة» قبيلة بأكملها لإن الزرقاوي ابو مصعب أحد أبنائها مع ان المتعاطفين مع الزرقاوي وحربه المعلنة ضد الأمريكيين كانوا على الأقل قبل تفجيرات الفنادق يغطون كافة واجهات الجغرافيا الأردنية في حقيقة يعرفها الجميع.

التهميش والإقصاء لصالح الزرقاوي

والمهم في المشهد ان الملك تدخل لإصلاح ما أفسده السياسيون والتنفيذيون وقلب صفحة بني حسن عبر لقاء حميمي وصريح جمع قادتهم بالمرجعية مباشرة يفتح المجال لإستحقاق مواز يتمثل بصفحة أخرى مهمة يعتقد انها ستفتح بقوة وحزم بعد الرحلة الملكية لأمريكا وهي صفحة بعنوان حركة حماس ومأساة إبعاد قادتها عن الأردن ثم إغلاق الباب في وجوههم لسنوات بدون أي مبرر سياسي قبل الإساءة للوحدة الوطنية وللقانون وللدستور في الأثناء حيث ان قرار الإبعاد إنطوى عمليا على المساس «بمحرمين» أردنيين هما العلاقة بتنظيم الأخوان المسلمين والدستور، فالكل يعرف ان حماس التي إحتضنت عمان قادتها مثل خالد مشعل وموسى ابو مرزوق وقبلهم الشيخ أحمد ياسين هي التعبير «الفلسطيني» عن الحركة الأخوانية الأردنية.

وثمة دليل إضافي على ذلك برز امس الإثنين في عمان، فرئيس كتلة التيار الإسلامي في البرلمان عزام الهنيدي إستغل ما حصل مع حماس وتحدث عن سياسات إقصاء الإسلاميين في بلاده مبديا الإستعداد للمشاركة في «السلطة التنفيذية» في إطار تصريح أثار الجدل من الواضح انه يتناغم مع مستجدات الساحة الفلسطينية.

وما دامت الأسرار متاحة للتحليل الآن فالفرصة مهيئة لتقييم رؤية تحدثت عن إنحياز فعاليات «شرق أردنية» همشتها الحكومات وسياسات الإقصاء لصالح المنطق المتطرف سواء مثله الزرقاوي او غيره علما بأن الأخير نجح قبل تورطه بملف الفنادق في تحصيل تأييد لا يستهان به وسط الجمهور الأردني.

وبموازاة هذا الإنحياز كان مجتمع الأصول والمنابت من المواطنين الأردنيين ذوي الأصول الفلسطينية منحازاً بالتالي لحركة حماس ولجماعة الأخوان المسلمين التي تعتبر من حلفاء النظام الهاشمي منذ اكثر من نصف قرن على الأقل في الساحة الأردنية.

وعمليا وقبل فوز حماس الكاسح الأخير تنبه «عقلاء» في مؤسسات القرار لهذين الإنحيازين، فسياسات التهميش ورفع الأسعار وغياب العدالة ووجود «مستشرقين» في طبقات القرار وموتورين في الصحافة خلقت هامشا من التفهم للزرقاوي في صفوف الأردنيين والفلسطينيين معا، كما عززت حصة حماس والأخوان المسلمين في الوجدان الجمعي للأردنيين عموما وبشكل خاص من الأصل الفلسطيني.

وبعد التنبه لهذا المفارقات تم إقرار إستدراكات من الواضح ان الملك شخصيا قادها عبر لقائه الأخير بقادة قبيلة بني حسن.

وحصول إنحيازات شعبية إجتماعية هنا وهناك بعيدا عن النظام بسبب الحكومات والسياسيين والسياسات الخاطئة يعني بان الإستدراك الملكي الأول الذي إحتضن قبائل الأردنيين الوطنيين قد يعقبه وفقا لبعض التصورات والمعلومات إستدراك مماثل يحتضن مجددا ملف الوحدة الوطنية على ان ملف حماس هنا يشكل الشرارة التي يمكن ان ينطلق منها التحول الجديد فحماس أصبحت قوة حاكمة على الأرض لابد من التعامل معها أردنيا بكل الأحوال مما قد يفرض إشتراطات لها علاقة بوجوه أو دور بعض النخب الحالية في مؤسسات عمان.

وحماس فوق ذلك هي العنوان الأبرز ليس للشعب الفلسطيني ولكن لحقيقة تاريخية موثقة تقول بأنها بلا منافس الحزب الفلسطيني الوحيد الذي يرفض حتى هذا اللحظة الإعتراف بقرار فك الإرتباط القانوني والإداري مع الضفة الغربية وهو قرار إتخذه الملك الراحل حسين بن طلال عام 1987 في لحظة لها ظروفها وإنفعالاتها.

حماس ضد قرار فك الإرتباط

وبموقفها من قرار فك الإرتباط تنسجم حركة حماس مع خطاب الأخوان المسلمين في عمان بنفس الإتجاه وتكرس واقعا جديدا يقول بأنها الرافعة التي يمكن ان يستخدمها الأردن في أي لحظة يجد نفسه فيها مشاركا بلعبة العودة للضفة الغربية.

ورغم كل الأزمات التي حصلت بين عمان وحماس إبتداء بأغلاق مكتبها وطرد قادتها المواطنين في حادثة مخجلة قبل سنوات ثم رفض عودتهم او حتى زيارتهم إلا ان قادة الحركة لم يعترفوا في كل أدبياتهم بقرار الملك حسين وكذلك الجماعة الأخوانية تقول علنا وفي بياناتها بان هذا القرار ليس دستوريا وهو ما أفتت به ايضا المحكمة الأردنية العليا في قرار شهير لها.

وعليه فإن موقف حماس هذا أساسي في مشهد تداعيات فوزها الكاسح الأخير على الساحة الأردنية فما لاحظه ايضا عقلاء قريبون من القصر الملكي وحوله يشير الى ان المؤسسة الرسمية في الأردن ستكون بحاجة ملحة للوقوف على محطة حماس إذا كانت تخطط فعلا لإغلاق ملف جدل الأصول والمنابت داخل الأردن ولإستعادة جميع «مواطنيها» وإشعارهم بأنها معهم ولهم كما حصل تماما مع قبيلة بني حسن، فالحقائق واضحة ولم يعد من الممكن إخفاؤها وتقول بان حماس ليس فقط القوة المركزية في فلسطين الآن لكنها تحظى بتأييد شعبي جارف وتعني الكثير للشارع الأردني في الإطارين الرمزي والعملي وبالتالي هي «لاعب» لا يمكن تجاهله بعد الآن او على الأقل خلال السنوات الأربع المقبلة.

ومن هنا يمكن تتبع مؤشرات الحكمة في الحراك الملكي فالمرحلة المقبلة قد تشهد إستعدادات متتالية لثقة الجمهور وإنحيازات لصالحه وعمل منهجي لتنظيف آثار الإجتهادات السياسية والأمنية القديمة الخاطئة التي كرست المسافة بين أصحاب القرار والناس وقلبت الحقائق وأساءت للجذور التاريخية التي ميزت لعقود العلاقة بين الحكم والمواطن في الأردن.

وليس سرا في السياق ان إستعادة ثقة حماس او الجلوس معها بعد الآن يتطلب او سيتطلب تحولات مهمة داخل المؤسسات الرسمية والتنفيذية فعدد من قادة «الإنقلاب» على حماس قبل سنوات لا زالوا فاعلين الآن وشروط العودة للتعامل مع حماس تتطلب إزالة اسباب التوتر الأصلية وتغيير قواعد اللعبة مع حلفائها وفي الواقع شركائها في التيار الأخواني لإن حماس اصبحت وبعيدا عن الإجتهاد الدبلوماسي الأردني من المحطات الأساسية التي لابد من المرور منها في حالة إتخاذ قرار إستراتيجي كان متوقعا حتى قبل فوز حماس بالتحدث «للفلسطينيين» غربي النهر بعد طول غياب و«بإنصاف» الفلسطينيين المواطنين شرقي النهر تحقيقا للعدالة والمساواة وبعيدا عن مخاوف الوطن البديل.

وفي هذا الإطار يمكن الإستفادة من شخصيات مهمة في التيار الأخواني تداوي الجراح ما بين حماس والحكومة الأردنية وهي شخصيات من طراز عبد اللطيف عربيات وعبد المجيد الذنيبات وعبد الرحيم العكور.

أمريكا محطة رئيسية

وستزداد الحدة الأردنية في مواجهة هذا الإستحقاق إذا ما رصد الرادار الملكي الأردني الخبير توجهات «أمريكية» ودولية للتحدث مع حماس او هضمها او التعامل معها كحقيقة مستقبلا خصوصا وان القرار السياسي الأردني يأخذ بالإعتبار دوما كل التطورات والتلاحقات، كما سيتدعم بالإستماع لرؤيا الرئيس محمود عباس كما ان الرادار الحكومي الأردني تحدث مبكرا عن «نعومة مريبة» يتحدث بها الأمريكيون عن حماس بعد إكتساحها ترافقها «ليونة» إسرائيلية تظهر على شكل إشتراطات وليس تهديدات.

وكل هذا يفتح في الواقع المجال لفتح ملف إبعاد قادة حماس نفسه من قبل شطار الحكومات الأردنية في الماضي، فالإنطباع العام الآن ان حكومة الرئيس عبد الرؤوف الروابدة بعد ان كانت اولى حكومات العهد الجديد خرجت من التجربة مبكرا وقبل أوانها لإنها ورطت الدولة الأردنية بحكمها ومواطنيها بتفاصيل «خادشة» للوحدة الوطنية وهي تحاول تطبيق سيناريو إبعاد قادة حماس بقسوة مبالغ فيها سببت «جرحا» لمشاعر المؤمنين بالوحدة الوطنية.

ويؤكد شهود عيان كانوا في السلطة انذاك لـ«القدس العربي» ان القصر الملكي لم يكن راضيا عن بعض التصرفات الحكومية عندما تقرر إبعاد حماس سواء عندما تعلق الأمر بقيادة خالد مشعل ورفاقه «مخفورين» عبر أروقة المطار كالمجرمين او عندما تعلق بإحتجاز المواطن إبراهيم غوشة لأسبوعين في مطار بلاده في سابقة هي الأولى من نوعها أو بإستعراضات تلفزيونية لم تكن ضرورية قام بها مقر الرئاسة في ذلك الوقت كان من بينها إستقبال وفود من المخاتير والوجهاء الذين حضروا لتأييد الحكومة ورئيسها بسبب الإنجاز التاريخي المتمثل بإبعاد مواطنين أردنيين عن بلادهم بدون محاكمتهم وبعد ان ولدوا كقيادات لحماس في حضن الدولة الأردنية نفسها.

قيود في يدي خالد مشعل

وخلال مشوار الإبعاد لقادة حماس كانت التفاصيل الإجرائية تترك للتنفيذيين سواء ما تعلق منها بكيفية نقل القادة المبعدين وبالتكييف القانوني للمشهد او بالتعليقات التي لم تكن ضرورية. ويقول قادة حماس أنفسهم ان بعض الشخصيات الرسمية أنذاك كانت مسؤولة عن توجيه إهانات غير مبررة وهي تطبق قرار «الإبعاد الإستراتيجي» الذي اصبح الآن مشكلة لعمان وليس لحماس وحدها بعد ان أصبحت الأخيرة هي القوة التي تحكم فلسطين.

وفي وقت لاحق وقريب إمتدح الملك مباشرة قيادة الأخوان المسلمين ووصف خلال مأدبة غداء حضرها الشيخ عبد المجيد الذنيبات في مدينة الكرك الخلاف مع حماس بأنه «فني» لكن إجتهادات الحكومة تجاوزت حدود الخلاف الفني وبعد الإبعاد طلب قادة حماس العودة فرفض طلبهم ثم طلبوا تجديد جوازات سفرهم فرفض طلبهم ومؤخرا طلبوا زيارة عائلاتهم ورفض طلبهم ايضا.

وبعض رموز إبعاد حماس لم يعودوا في الحكم الان، فالرئيس الروابدة عضو في مجلس النواب والجنرال سميح البطيخي لا زال في السجن لكن رموزا أخرى تحمست لقرار الإبعاد موجودة بقوة الآن.

وبنفس الوقت أقفل باب الإتصال تماما في وجه أي مبادرة لإقامة قناة إتصال رغم وساطات متعددة تقدم بها الإسلاميون وبعض النواب مثل خليل عطية وحصل الرفض في عهد حكومات علي ابو الراغب ثم فيصل الفايز ثم عدنان بدران الذي لم يخف وهو رئيس على هامش حديث لـ«القدس العربي» إستغرابه لعدم وجود إجابة منطقية على السؤال التالي: لماذا تحديدا نستمر في إقفال الباب في وجه حماس؟ وفي الوسط الرسمي الأردني ثمة من يعترف الان بأن إبعاد قادة حماس كان «خطأ» وكذلك الإستمرار في إبعادهم وإغلاق كل ابواب الوساطات معهم، ومشهد خالد مشعل الذي حاول الموساد إغتياله في عمان فوضع الملك حسين عملية السلام برمتها في كفة وإنقاذه في الكفة الأخرى، كما ابلغ هو شخصيا ـ أي الملك ـ الصحافيين.. مشهده وهو يتحدث بثقة الزعيم المنتصر في دمشق قبل يوم من إستقبال بشار الأسد له «يزعج» الماكينة السياسية الأردنية الآن ويحرك الكثير من التساؤلات في المستوى الوطني بعدما لاحظ الكثيرون ان البلاد تدفع دوما ثمن «تصرفات وتعليقات» إضافية لا مبرر لها او خارج السياق وليست إحترافية تصدر عن مسؤولين وسياسيين في مستويات التنفيذ.

وهذه التصرفات تضطر المرجعيات لإحتوائها لاحقا... ومختصر الموقف يشير الى ان نجاح حماس يسبب أزمة حقيقية في الوجدان السياسي الأردني حاليا وينتج عنه مأزق غير مسبوق يتطلب الكثير من المراجعات وامام الحكومة خياران لا ثالث لهما.. تكريس الإبتعاد عن حماس وتجاهل الأعتراف بالخطأ في إدارة ملفها وتحمل العواقب بالنتيجة مهما كانت وهو خيار مستبعد في إطار البراغماتية الأردنية المعتادة او اللجوء للخيار الثاني إقتناص ما هو جوهري ومفيد في المشهد برمته وبناء الوحدة الوطنية مجددا مع رافعة مهمة في الضفتين لا تؤمن بسياسة فك الإرتباط.

في الحالتين يوجد ثمن مدفوع لكن ثمن الخيار الثاني مقدور عليه في الواقع وأقل كلفة وأكثر إنتاجية ومن المرجح ان حسم البوصلة الأردنية تجاه حماس سيحصل بعد الرحلة الملكية للولايات المتحدة.

وإلى ان يحصل ذلك لابد من القول ان منع الزرقاوي من إختطاف قبيلته قد يعقبه منع خصوم الوحدة الوطنية وحماس من الإسترسال في أخطائهم وإصلاحها سريعا كما

يأمل كثيرون يراقبون ما يحصل.

وفي الختام لابد من طرح السؤال التالي: هل سيضطر مسؤولون أردنيون لإستقبال الزعيم السياسي لحكومة فلسطين .. المواطن الأردني خالد مشعل في المطار قريبا بعد ان حرص بعضهم على توديع الرجل ـ نقصد مشعل ـ في مطار عمان مخفورا؟

الملك عبد الله

خالد مشعل

عبد الرؤوف الروابدة

ابو مصعب الزرقاوي

مطالبة جمال مبارك بالبعد عن السياسة والبحث عن زوجة.. وهيكل ينفي عنه شبهة التوريث.. ومعارك وخلافات حول تصريح شيخ الأزهر بشأن الرسول

أزمة حزب «الوفد» متواصلة واتهام النظام بمساندة نعمان جمعة.. وتحميل مسؤولين أمنيين مسؤولية مهاجمة كنيسة الأقصر

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من حسنين كروم:

كانت الأخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة أمس الاثنين عن توالي ردود الأفعال على اكتساح حركة حماس للانتخابات الفلسطينية واستقبال الرئيس مبارك عمدة لندن ووزير خارجية تايلاند والاستعداد لإصداره قرارات بحركة تغييرات في قيادات الحزب الوطني الحاكم واستمرار توقف جريدة «الوفد» عن الصدور وتظاهر محرريها أمام المجلس الأعلى للصحافة والاتجاه لإعادة إصدارها بعيدا عن المتصارعين، جبهة نعمان وجبهة محمود أباظة وحبس 22 متهما في أحداث كنيسة قرية العديسات بالأقصر والتي أدت إلى وفاة مواطن قبطي ومرور حاملة الطائرات الفرنسية كليمنصو في قناة السويس بقرار من الحكومة رغم أنف مجلس الشعب واحتجاجات بعض الأعضاء واستمرار الاهتمام بوقف إنتاج ألبان الأطفال الضارة وشائعة وفاة الأطفال بسبب تطعيمهم ضد شلل الأطفال واتخاذ احتياطات لمنع تسرب مرض أنفلونزا الطيور إلى محافظتي سيناء ودمياط وقرب الانتهاء من استكمال مجمع المعامل الطبية في ميناء بورسعيد لتحليل الأغذية الواردة من الخارج بدلا من إرسالها للمعامل في القاهرة وبحث مشكلة مستشفى كفر الدوار الذي توقفت الحكومة عن استكماله من 19 سنة بعد ان صرفت عليه 95 مليون جنيه ومؤتمر وزراء الخارجية العرب في تونس وتصريحات وزير التجارة والصناعة رشيد محمد رشيد التي أكد فيها أن مصر أبلغت أمريكا رفضها ربط توقيع اتفاق التجارة بالإصلاحات السياسية وإعلان وزير الاستثمار الدكتور محمود محي الدين بأنه سيتم طرح 40 % من أسهم شركة سيد للأدوية في البورصة وذلك في إطار خطة الحكومة لسرعة التخلص مما تمتلكه الدولة من مشروعات رابحة لأن أموالها حرام وتحديد محكمة الاستئناف بالقاهرة يوم الثاني من شهر مارس ـ آذار ـ القادم موعدا لمحاكمة عدد من مسؤولي بنكي القاهرة ومصر وعدد من رجال الأعمال من بينهم مجدي نصيف بتهمة الاستيلاء على مليار و345 مليون جنيه بدون ضمانات، ورفع أسعار مياه الشرب بنسبة 50 % وإلى أبرز ما لدينا في تقرير اليوم.

جمال مبارك

ونبدأ بجمال مبارك أمين أمانة السياسات الذي تعرض إلى غارات عنيفة، في «العربي» أولها شنها زميلنا وصديقنا محمد حماد الذي قال والشرر يتطاير من عينيه في بابه ـ سؤال بريء: «كنت أتصور أن الأخ جمال مبارك أذكى مما بدا عليه في حوار الحلقات الأربع في «روز اليوسف» وكنت أتوقع أنه احوط من أن يقع فيما وقع فيه من أغلاط وأخطاء وتناقضات. ما ساءني هو قول الأخ جمال أن جماعة الإخوان ليس لها وضع قانوني وقلت في نفسي: انظر إلى من يتكلم؟

وكنت أتصور أنه سيجد من يقول له إنه من الحكمة لمن كان بيته من زجاج اللاشرعية ألا يقذف الناس بطوب الوضع غير القانوني، وأنه إذا تحدث كل الناس في بر مصر عن الأوضاع غير القانونية، فالوحيد الذي لا يحق له الكلام عن قانونية أوضاع غيره من الناس هو جمال مبارك نفسه! ما هو الوضع القانوني الذي يسمح لجمال بالتقدم على كثير من الوزراء بل وعلى رئيس الوزراء الذي لا يكل ولا يمل من تنفيذ توجيهات الرئيس ونجله! ما هو الوضع القانوني الذي يسمح لجمال بالاجتماع بالوزراء بناء على دعوة من السيد أمين عام الحزب الذي هو ليس صاحب اختصاص في الدعوة إلى مجلس الوزراء ولا هو صاحب سلطة في الجمع بين الوزراء وغيرهم من المتنفذين في السلطة!

إذا صدقنا جمال في كل ما قاله فالشيء الذي لا يمكن تصديقه هو قوله بأنه ليست لديه النية أو الرغبة في أن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية لخلافة والده، ونحن نعلم ـ مثلما تعلم ـ أن النوايا تتغير بين يوم وليلة، وما هو ليس في نيتك الآن يمكن أن يكون فيها غدا، ولأن موضوع الرئاسة والحكم ليست من المواضيع التي تؤخذ بالنوايا فليس أمام نجل الرئيس إذا أراد حقا أن يسكت الكلام عن التوريث، وأراد فعلا أن يخرس الألسنة التي تتحدث عنه، فليحل عن سمانا، وينهمك في «البزنس» الخاص به، وليشغل نفسه بالبحث عن عروسة قبل أن يفوته قطار العمر»!

ما شاء الله. ما شاء الله. ما هذا الكلام وتلك المطالب، ماله هو والبحث عن عروسة أو غيرها؟

أما الغارة الثانية فشنها الدكتور يحيى القزاز الأستاذ بجامعة حلوان قوله وهو يتلمظ غيظا: «مصر ورُثت لا ريب، لم يبق إلا إعلان الوراثة وإعلان قرار الوصاية. تفاصيل الإرث معروفة، ومستندات الملكية، صمت الشعب. ما جرى ويجري من وقائع، يرفع غطاء قدر يغلي لمكونات قاصرة غير متجانسة، يسعى معظمها لإثبات الولاء لوريث قاصر، تحسبا ليوم الوصول إلى الحكم، في ظل وصاية امريكية، أو عند بلوغ الرشد في ظل حماية إسرائيلية.. ما نراه من صراع، على إرث حُسم أمره، بين الحرس القديم والجديد، هو في حقيقة الأمر ليس صراعا على الحكم، ولكنه صراع في رأس الحكم، نتيجة احتقان المسالك، وتصلب الشرايين أدى بدوره إلى ارتفاع في الضغط وتخبط في القرار.

وليس بمقدور كتلة في مصر أن تصارع على رأس الحكم إلا كتلة الجيش، ولا مدنيا مؤهلا لإحلال واحتلال رأس الدولة إلا جمال مبارك وما عدا ذلك فالكل يسرع لتثبيت ما هو قائم ـ حتى وإن شاخ ـ ويصارع للحفاظ على موقعه في كنف سلطة تمنحه شرعية الفساد وتحميه من المحاكمة. استمرار مسلسل السياسات اللا مسؤولة وشفط البلد بعد نهبه، يعجل بنهاية النظام الحاكم، وتشكيل اتحاد ملك مصر برئاسة جمال مبارك ينذر بانفجار شعبي يفوق في خطورته حريق القاهرة 1952 وأحداث يناير 1977. المعارضة الوطنية تقف الآن في مفترق طرق، وعملها على إزاحة نظام حاكم به شبهة شرعية، لا يجب أن يحجب رؤيتها عن خطورة وضرر ما هو غير شرعي «اتحاد ملاك مصر» المطالبة بعزل جمال مبارك عن رسم سياسات الدولة، واجب وطني، وضرورة اجتماعية يفرضها الحرص على أمن الوطن واستقراره، وها هو علاء مبارك يدخل ساحة العمل العام ويزور معسكر الفريق القومي ليطمئن على مستواه. أرجو ألا يغيب عن الذهن أن جمال مبارك ورث مصر منذ اعتلائه واحتلاله لجنة السياسات، ولم يبق إلا إعلام الوراثة. على الشعب الاختيار بين اتحاد ملاك مصر ومصر بغير اتحاد ملاك. المطالبة بعزل جمال مبارك أهم من المطالبة بإقالة أبيه، الأول فتى مستقبله أمامه والأخير شيخ مستقبله وراءه. في تراثنا العربي: الحاكم هو النظام والابن هو الامتداد الطبيعي للأب، والعصا التي يعتمد ويتكئ عليها في شيخوخته. إزاحة العصا تعني إبعاد الخطر وتداعي النظام وسقوطه بسلامة الله، وقبل فوات الأوان. وحتى لا يتبدد عمر أبنائنا ويضيع مستقبلهم كما ضاع عمر جيلنا ومستقبلنا بين ظلم الأب وظلمته، وتختزل مصر في اتحاد ملاك غير شرعي، علينا بإبعاد جمال مبارك عن صياغة مستقبل مصر. تلك مهمة وطنية آنية وعاجلة، جمال مبارك لم يختره الشعب ولا أنصار الحزب الوطني المزعوم، جمال ابن مبارك يعمل بالسياسة بصفته الوريث ابن الرئيس، إذن لا شرعية لوجوده، والمطالبة بعزله ونفيه عن العمل السياسي لا يخالف الدستور. لا قداسة لحاكم ولا شرعية لابنه ولا إهانة لوطن. إنقاذ مستقبل مصر يتطلب أولا إبعاد جمال مبارك عن الجمعية الفئوية الحاكمة ثم تفكيك اتحاد ملاك مصر حتى لا يتحول الشعب إلى متسولين واتحاد الملاك إلى نفر محسنين.. ثم.. اللهم بلغت اللهم فأشهد».

مشاكل وانتقادات

وإلى المشاكل والانتقادات ومنها مشكلة الصناعة المصرية وتدهورها وغزو الصناعات الصينية والكورية والماليزية وغيرها للسوق المصرية وتحقيق زميلتنا بمجلة «حريتي» حنان الغزاوي الذي قال فيه وزير الصناعة الأسبق المهندس فؤاد أبو زغلة: «المشكلة ليست في وجود شعار صنع في مصر الأهم هو أين المنتج المصري وحجمه في الاسواق المحلية والعالمية؟!

القطاع العام في الفترة السابقة كان مسيطرا على كل المشروعات وكان هناك إنتاج محلي جيد وكان المصريون يفضلون استهلاك السيارات والأجهزة الكهربائية المصرية.. اليوم بعد الاتجاه للخصخصة وحصول القطاع الخاص على النصيب الأكبر من الاستثمارات الصناعية وغير الصناعية حيث إنه مسؤول عن 70 % من الناتج القومي تفاقمت المشاكل والثغرات.. وفي نفس الوقت رفعت الدولة يدها عن هذا القطاع العام للإصلاح الاقتصادي فتدهورت الصناعة والتجارة.

لابد أن تشجع الاستثمار المحلي والأجنبي في مصر وتقوم الدولة بتقديم كافة التسهيلات والضمانات لنجاح القطاع الخاص.. ربما بدأت الدولة تأخذ نقطة إيجابية في مسألة الضرائب والجمارك لكن الخطى مازالت بطيئة.. لذا يجب أن يدور حوار بين الحكومة وأصحاب الشركات والمصانع وكافة المستثمرين حتى نتعرف على مشاكلهم ونوفر لهم كافة الإمكانيات.. ينبغي أيضا أن نساعد المستثمر الجاد الذي يعمل لصالح البلد وتعثر في سداد قروض البنوك بسبب ظروف خارجة عن إرادته. ويقول الدكتور عبد المطلب عبد الحميد عميد معهد البحوث الاقتصادية بأكاديمية السادات: بصراحة شديدة «واحسرتاه على الصناعة المصرية.. فقد ذهبت عبارة «صنع في مصر» في مهب الريح بعد أن دخلنا المحك الحقيقي للمنافسة مع تطبيق اتفاقية الغات في يناير 2005. وفي رأيي أن الظروف أجبرتنا بطريقة غير مباشرة للدخول في هذه الاتفاقية خوفا من آثار ضياع الحصص التصديرية التي كانت تحمي منتجاتنا قبل اتفاقية الغات.. فالحقيقة أننا انكشفنا تماما بعد التحرر من نظام الحصص وكان الحل هو اللجوء إلى السوق الأمريكية التي تمنحنا ميزة التنافسية في سوقها مع التحرر الكامل لمنتجاتنا من الرسوم الجمركية وفقا لاتفاقية الكويز.

وحتى نكون صرحاء مع أنفسنا علينا أن نعترف أن ضعف مستوى الصناعة المصرية يرجع إلى غياب الاستراتيجية الواضحة لبناء قاعدة إنتاجية وهناك سرطان آخر يسري في جسد الصناعة المصرية وربما يأتي على ما تبقى منه.. وهو ما أحذر منه بشدة.. ألا وهو الغش الصناعي الذي أصبح على ودنه في ظل غياب قانون حماية المستهلك.. لذا من السهل جدا أن نجد صناعة ما تم التلاعب في نسبها المحددة أو غش خاماتها أو منتجها انتهت صلاحيته وضرب له تيكت بصلاحية جديدة..

علينا أن نعترف أننا في فترة ما كنا أفضل من كوريا.. وأن ماليزيا هذا البلد الإسلامي نموذج يؤكد لنا أننا نحن الذين تقاعسنا فهي استطاعت أن تتحدى امريكا في ظل أزمة جنوب شرق أسيا وأثبتت وجودها.. أما نحن فمازلنا نعيش زمن الفردية والعشوائية والفهلوة في ظل غياب الاستراتيجية الواضحة والتنسيق الجماعي المحدد الأهداف».

معارك الإسلاميين

وإلى الإسلاميين ومعاركهم واستمرار الغضب من شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي بسبب تصريحه عن الحملة التي تعرض لها في الدانمارك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو يستقبل سفير الدانمارك بأنه لا يجوز مهاجمة الأموات لأنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم. وهو ما دفع المفتي الدكتور علي جمعة لان يدلي بتصريحات مضادة أثناء استقباله السفير بأن الرسول لا يزال حيا بيننا، وقد نشرت «الأحرار» يوم الجمعة تحقيقا أعده ماهر الهنداوي جاء فيه: «يقول الدكتور محمد السيد الجنيد ـ أستاذ الفلسفة الإسلامية ومدير مركز الدراسات الإسلامية بجامعة القاهرة أن موقف الأزهر وهو أكبر مؤسسة إسلامية في العالم في التهاون والتقاعس عن اتخاذ موقف رسمي قوي وحازم ضد هؤلاء المعتدين الذين دأبوا على الإساءة إلى الإسلام ورموزه لهو من أكثر الدلائل وضوحا على هوان وضعف الأمة الإسلامية في العصر الحالي.

لا يقبل على أي مسلم أن يقارن الرسول صلى الله عليه وسلم بالأموات حتى يقول شيخ الأزهر اننا لا نسمح بالنيل من الأموات أو التعرض لهم، فالرسول صلى الله عليه وسلم ـ ليس بميت بل هو حي بشريعته، وهو حي في قلوب المليار مسلم فليس من الإنصاف أن يتخذ شيخ الأزهر هذا الموقف ليقارن الرسول بالأموات.

ويقول الدكتور عبد الله شاهين ـ الأستاذ بجامعة الأزهر ـ من المصائب أن يأتي اليوم الذي يستهين فيه المسلمون بقدر ومكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك مصيبة وكارثة الكوارث، لأن النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم حي بمنهجه وشريعته حي في أمته، وبقيمه وبأخلاقياته الشريفة وسلوكياته الكريمة التي قال عنها «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». فإن دفاع بعض الجهات الرسمية سواء من الأزهر أو من غيره عن الرسول صلى الله عليه وسلم لكون عده من الأموات الذين لا يملكون أن يدافعوا عن أنفسهم هذا الدفاع والرد بهذا الشكل مخز ومهين لا يليق بمكانة وقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولن ينسى التاريخ من تقاعس وتكاسل في الدفاع عن النبي كما ينبغي.

إنه لا يمكن بأي حال أن نسوي بين موت الرسول صلى الله عليه وسلم وموت الآخرين، فالرسول يقول في صحيح الأثر: «أنا في قبري حي طري» وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم في قبره حياة من نوع خاص لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى».

أما زميلنا محمود حبيب رئيس جريدة «صوت الأزهر» فقد رد على الحملات التي يتعرض لها الشيخ طنطاوي في مقال عنوانه «رفقا بالإمام الأكبر لأن قصده التوبيخ» قال فيه: «و إذ كان الإمام الأكبر شيخ الأزهر وإمام المسلمين أثناء لقائه بسفير الدانمارك الذي حضر للأزهر لتقديم اعتذار بلاده عن الإساءة للرسول، عبر للسفير عن رفضه الإساءة للأنبياء جميعا وللرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل الخلق أجمعين خاصة، قال أيضا أنه لا يجب الإساءة للأموات لأنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم إنما قال ذلك الإمام الأكبر للسفير على سبيل التوبيخ.. يا سادة يا من تريدون الإساءة للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء وخاصة الإمام الأكبر الرمز الذي يجب أن ينال احترام جميع المسلمين كبيرا وصغيرا في مشارق الأرض ومغاربها كفوا أيديكم وأقلامكم وألسنتكم عن الإمام وكونوا معه لا عليه.

يا سادة يا من تريدون التجارة بأقلامكم والتربح بألفاظكم لقد غاب عنكم بل جهلتم أو تجاهلتم قول الله ت